جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

السنة الأولى ماستر (لسانيات عامة).
التخصص: لسانيات عامة.
مادة: أعلام البحث في التراث العربي.

السنة الجامعية: 2023/2022
السداسي الأول.
أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.

المحاضرة الحادية عشرة: ابن فاس (329 هـ – 395 هـ).

1- **التعريف بابن فارس**[1]: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي.

قام ابن فارس برحلات عدة لطلب العلم، ومنها: رحلته إلى قزوين، قاصدا أبا الحسن بن إبراهيم القطان (ت: 345 هـ). ورحلته إلى زنجان التي التحق فيها بأبي بكر أحمد بن الحسين بن الخطيب راوية ثعلب.

أقام ابن فارس مدة في همذان ثم انتقل إلى الرّي التي نُسب إليها، فقيل "الرّازي"؛ لتعليم مجد الدولة أبي طالب بن فخر الدولة، حيث التقى بالصاحب ابن عباد.

كان شافعي المذهب، ثم تحوّل مالكيا. وكان نحويا على مذهب الكوفيين[2].

كان ابن فارس جوادا كريما، ولربما سئل، فهب ثيابه وفرش بيته.

2- **شيوخه وتلاميذه**:

2- 1- **شيوخه**: رحل ابن فارس إلى كثير من البلدان؛ طلبا للعلم، وتتلمذ على كثير من العلماء، ومنهم:

- والده "فارس بن زكرياء" الذي كان فقيها شافعيا، لغويا راوية للشعر. ومما رواه عنه كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكّيت[3].
- أبو بكر أحمد بن الحسين الخطيب راوية ثعلب.
- أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان.

---

[1] ينظر في ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1964، 1/ 352. وياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، 410/1 وما بعدها. والقفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986، 127/1 وما بعدها. وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، 118/1.

[2] ذكر القدماء أن ابن فارس كان كوفي المذهب، وتبعهم في ذلك كثير من المحدثين، ومنهم الدكتور شوقي ضيف الذي وضعه ضمن الكوفيين المتأخرين، بيد أن بعض الباحثين يؤكدون أنه لم يكن كوفيا خالصا، بل كان وسطا بين الكوفيين والبصريين، يأخذ الرأي الذي يراه أقوى حجة. ينظر: عزيزة بنت عطية الله بن زاهر الشنبري، الفكر اللغوي عند ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطّام بن عبد العزيز، الخرج، الرياض، السعودية، ع2، سبتمبر، 2016، ص292.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1979، 1/ 5.

- أبو عبد الله أحمد بن طاهر المنجم، وكان ابن فارس يقول: «ما رأيت مثل أبي عبد الله أحمد بن طاهر، ولا رأى هو مثل نفسه»[1].

2- 2- تلاميذه: من أبرز تلاميذ ابن فارس المشهورين:

- بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات (358 هـ - 395 هـ).

- الصاحب بن عباد الوزير الكاتب الشاعر (324 هـ – 385 هـ).

3- أقوال العلماء في ابن فارس: أجمع العلماء على تقدم ابن فارس وإمامته في اللغة، ومن شهادات العلماء له أنّ تلميذه الصاحب بن عباد كان يقول: «شيخنا ممّن رُزق حُسن التصنيف وأمِنَ فيه مِنَ التّصحيف»[2].

وقال علي بن الحسين الباخرزي (ت: 467 هـ) في دمية القصر: «إذا ذُكرت اللغة، فهو صاحب مجملها، لا بل صاحبها المجمِّل لها. وعندي أن تضيفه ذلك من أحسن [التّصانيف التّي صنعت] في معناها، وأنّ مصنّفها إلى أقصى غايةٍ من الإحسان تناهى»[3].

وفيه يقول سعد بن عليّ الزّنجاني (ت: 471 هـ): كان أَبو الحسين مِن أَئمّة اللُّغة، مُحتجّاً به في جميع الجِهات غير مُنازع[4].

وقال القفطي (624 هـ) في إنباه الرواة: «يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء، وله كتب بديعة ورسائل مفيدة وأشعار جيدة»[5].

أما الإمام الذهبي (ت: 748 هـ)، فشهد له بتقدمه، حيث يقول: «الإمام، العلاَّمةُ، اللُّغويُّ، المُحدِّث... وكان رأساً في الأَدب، بصيراً بفقه مالك، مُناظراً مُتكَلِماً على طريقة أَهل الحقّ، ومذهبه في النَّحو على طريقة الكوفيِّين... جمع إتقانَ العِلم إِلى ظَرْفِ أَهل الكتابة والشعر...»[6].

ومن المحدثين يقول الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه "مقاييس اللغة": «لم يكن ابن فارس من العلماء الذين ينزوون على أنفسهم ويكتفون بمجالس العلم والتعليم، بل كان متصلاً بالحياة أكمل اتصال ماداً بسبب إلى نواح شتى منها... فهو شاعر يقول الشعر ويرق فيه؛ حتّى لَينمّ شعره على ظرفه وحسن تأتيه في الصنعة على طريقة شعراء دهره...»[7].

4- تصانيفه: لابن فارس مؤلفات كثيرة تزيد على الستين، من أهمها: "المجمل" في اللغة، و"مقدمة في النحو"، و"ذمّ الخطأ في الشعر"، و"الانتصار لثعلب"، و"اختلاف النحويين"، و"فتاوى فقيه العرب"، و"الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، و"مقاييس اللغة"...

4- 1- كتاب "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها": كان لابن فارس فضل كبير في ظهور علم "فقه اللغة"؛ فقد كانت البداية الحقيقية لهذا العلم بوصفه علما مستقلا على يد ابن فارس وابن

---

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 411/1.

[2] نفسه، 411/1. والسيوطي، بغية الوعاة، 352/1.

[3] الباخرزي، دمية القصر وعُصرة أهل العصر، تح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، 1479/3- 1480.

[4] الذهبي، سير أعلام النبلاء، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985، 105/1.

[5] القفطي، إنباه الرواة، 127/1-128.

[6] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 103/17-104.

[7] ابن فارس، مقاييس اللغة، 12/1.

جني رحمهما الله . فلقد كان لهما أبلغ الأثر في التأليف في فقه اللغة، وعلى وجه الخصوص ابن فارس الذي ألف مجموعة من الكتب في هذا المجال، خصوصاً كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها".

أما عن سبب تسميته الكتاب "الصاحبي"، فيقول إنه لمّا ألّف الكتاب أودعه خزانة الصّاحب بن عباد وزير مؤيّد الدولة بن بويه[1].

وتكمن أهميةُ هذا الكتاب في كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح "فقه اللغة"، وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً. فضلا عن الموضوعات التي عالجها بين طياته.

يقول عبده الراجحي: «وأغلب الظن عندنا أن هذا العنوان مأخوذ من لفظة "الفقه" بمعناها الاصطلاحي وبمعناها اللغوي؛ فلقد كان الرجل فقيها قدّم أكثر من كتاب في الفقه، فضلا عن الصلة التي كان يراها ابن فارس وغيره من اللغويين العرب بين اللغة والدين على العموم، وبينها وبين الفقه على وجه الخصوص»[2].

وقد عالج ابن فارس في كتابه "الصاحبي" عدداً من الموضوعات التي تُعدّ من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرّق في كتب سابقيه. قال في مقدمة كتابه: «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرّق في أصناف العلماء المتقدمين -رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء- وإنما لنا فيه اختصارُ مبسوطٍ، أو بَسْطُ مُخْتَصَر، أو شَرْحُ مُشْكل، أو جَمْعُ متَفَرّق»[3].

وقد قسّم ابن فارس كتابه سبعة وثمانين (87) بابا، تناول فيها مسائل شتّى تعد النواة الأولى في فقه اللغة. ومن ذلك: حديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها، واختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف، والخطاب المطلق والمقيد، والحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والحذف والاختصار، والإتْبَاع، وغيرها...

4- 1- 1- <u>بعض آرائه اللغوية من خلال كتابه "الصاحبي":</u>

4- 1- 1- 1- <u>نشأة اللغة</u>: حاول ابن فارس الإجابة عن سؤال شغل بال المفكرين قديما وحديثا، ذلك السؤال المتعلق بأصل اللغة: أهي توقيف، أي وحي من الله علّمها الانسانَ؟ أم هي اصطلاح؟

عقد ابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" بابا سماه: "القول على لغة العرب أتوقيف، أم اصطلاح؟" وذهب إلى أن لغة العرب توقيف[4] مستدلا بقوله تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّهَا [البقرة/31].

وهو يرى بأن الله تعالى لم يعلّم الإنسان اللغة دفعة واحدة، بل كان ذلك في أزمنة متفرقة. يقول: «ولعلَّ ظاناً يظن أن اللغة الَّتي دلَلنا عَلى أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وَفي زمان واحد. وَلَيْسَ الأمر كذا، بل وقّف الله جلَّ وعزَّ آدمَ عليه السلام عَلَى مَا شاء أن يعلّمه إياه مما احتاج إِلَى علمه فِي زمانه، وانتشر من ذَلِكَ مَا شاء الله، ثُمَّ علَّم بعد آدم عليه السلام من عرَب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً مَا شاء أن يعلمه، حَتَّى انتهى الأمر إِلَى نبيّنا محمد

---

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص33.

[2] عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص42. وعزيزة الشنبري، الفكر اللغوي عند ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، ص288.

[3] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص35.

[4] نفسه، ص36.

صلى الله عليه وسلم، فآتاه الله جلَّ وعزَّ من ذَلِكَ مَا لَمْ يؤته أحداً قبله، تماماً عَلَى مَا أحسنَه من اللغة المتقدمة. ثُمَّ قَرَّ الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت»[1].

4- 1- 1- 2- <u>اكتساب اللغة</u>: عقد ابن ارس في كتبه بابا تطرق فيه إلى قضية "اكتساب اللغة" تحت عنوان: "باب القول في مأخذ اللغة". وهو يرى بأن اللغة تُكتسب من ثلاث طرق:

- طبيعيا من المجتمع الذي ينشأ فيه الإنسان.
- عن طريق التلقين والتعليم.
- السّماع من الرّواة الثقات.

يقول: «تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم عَلَى مرّ الأوقات.

وتؤخذ تلقُّناً من ملقّن.

وتؤخذ سماعاً من الرُّواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقى المظنون»[2].

4- 1- 1- 3- <u>الترادف</u>: ناقش ابن فارس في كتابه "الصاحبي" قضية الترادف في اللغة العربية في باب سماه "باب الأسماء كيف تقع على المسميات".

ومعلوم أن كثيرا من العلماء قد خاضوا في هذا الموضوع؛ ومنهم من جعل الترادف خاصية من خصائص اللغة العربية.

وقد أنكر ابن فارس أن يكون في اللغة ترادف، فهو يرى أن للشيء اسما واحدا، أما البقية، فصفات. يقول: «يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفرس.

وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: "عين الماء" و"عين المال "و"عين السحاب".

ويسمى الشيء الواحد بالأَسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهنّد والحسام".

والذي نقوله في هَذَا :إن الاسم واحد وهو "السيف" وَمَا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى»[3].

4- 1- 1- 4- <u>النحت</u>: يعد النحت من الظواهر اللغوية التي تسهم في توسع اللغة، ويعد الخليل بن أحمد (ت: 175ه) أول من اكتشف هذه الظاهرة في اللغة العربية حين قال: «إن العَيْن لا تَأْتَلِف مع الحاء في كلمة واحدة لقُرْب مَخْرَجَيْهما إلا أنّ يُشْتَقَّ فِعلٌ من جمعٍ بين كلمتين مثل حَيَّ على كقول الشاعر:

ألا رُبّ طَيفٍ بَاتَ منك مُعانِقِي*** إلى أن دَعَا داعي الفَلاحِ **فَحَيْعَلا**

يُريدُ :قال: حَيَّ على الفَلاح أو كما قال الآخر:

فباتَ خيال طيفِكِ لي عنيقاً*** إلى أنْ **حَيْعَلَ** الداعي الفَلاحا»[4]

---

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص37.

[2] نفسه، ص64.

[3] نفسه، ص97.

[4] الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، (د ت) 60/1.

ويعد ابن فارس أول من قنّن النحت، وجعل له قواعد عامة وطرقا واضحة، وجعله قياسا ولم يقصره على السماع[1].

قال ابن فارس: «العرب تَنْحَتُ من كلمتين كلمةً واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك"رجل عَبْشَميّ" منسوب إِلَى اسمين... وهذا مذهبنا فِي أنّ الأشياء الزائدة عَلَى ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد "ضَبَطرٌ "وَفِي "الصِّلِّدْم "إنه من "الصَّلد "و"الصَّدْم". وَقَدْ ذكرنا ذَلِكَ بوجوهه فِي كتاب "مقاييس اللغة"»[2].

وقد طبق ابن فارس النحت في معجمه "مقاييس اللغة"، وبخاصة في أبوابه المسماة "ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف". وقد وصل عدد الألفاظ المنحوتة في معجمه ما يقارب 300 كلمة منحوتة[3].

قال في [بَابُ مَا جَاءَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ أَوَّلُهُ بَاءٌ]: «اعْلَمْ أَنَّ لِلرُّبَاعِيِّ وَالخُمَاسِيِّ مَذْهَبًا فِي القِيَاسِ، يَسْتَنْبِطُهُ النَّظَرُ الدَّقِيقُ. وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ مِنْهُ مَنْحُوتٌ. وَمَعْنَى النَّحْتِ أَنْ تُؤْخَذَ كَلِمَتَانِ وَتُنْحَتَ مِنْهُمَا كَلِمَةٌ تَكُونُ آخِذَةً مِنْهُمَا جَمِيعًا بِحَظٍّ. وَالأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الخَلِيلُ مِنْ قَوْلِهِمْ :حَيْعَلَ الرَّجُلُ، إِذَا قَالَ حَيَّ عَلَى . وَمِنَ الشَّيْءِ الَّذِي كَأَنَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ :**عَبْشَمِيٌّ** . وَقَوْلُهُ:

*تَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ **عَبْشَمِيَّةٌ***

فَعَلَى هَذَا الأَصْلِ بَنَيْنَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَقَايِيسِ الرُّبَاعِيِّ، فَنَقُولُ :إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا المَنْحُوتُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَالضَّرْبُ الآخَرُ [المَوْضُوعُ] وَضْعًا لَا مَجَالَ لَهُ فِي طُرُقِ القِيَاسِ. وَسَنُبَيِّنُ ذَلِكَ بِعَوْنِ اللَّهِ.

فَمِمَّا جَاءَ مَنْحُوتًا مِنْ كَلَامِ العَرَبِ فِي الرُّبَاعِيِّ أَوَّلُهُ بَاءٌ.

(البُلْعُومُ) مَجْرَى الطَّعَامِ فِي الحَلْقِ. وَقَدْ يُحْذَفُ فَيُقَالُ بُلْعُمٌ. وَغَيْرُ مُشْكِلٍ أَنَّ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ بَلِعَ، إِلَّا أَنَّهُ زِيدَ عَلَيْهِ مَا زِيدَ لِجِنْسٍ مِنَ المُبَالَغَةِ فِي مَعْنَاهُ. وَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ تَوْطِئَةٌ لِمَا بَعْدَهُ.

وَمِنْ ذَلِك (بُحْتُرٌ) وَهُوَ القَصِيرُ المُجْتَمِعُ الخَلْقُ. فَهَذَا مَنْحُوتٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، مِنَ البَاءِ وَالتَّاءِ وَالرَّاءِ، وَهُوَ مِنْ بَتَرْتُهُ فَبُتِرَ، كَأَنَّهُ حُرِمَ الطُّولَ فَبُتِرَ خَلْقُهُ. وَالْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ الحَاءُ وَالتَّاءُ وَالرَّاءُ، هُوَ مِنْ حَتَرْتُ وَأَحْتَرْتُ، وَذَلِكَ أَنْ لَا تُفْضِلَ عَلَى أَحَدٍ. يُقَالُ أَحْتَرَ عَلَى نَفْسِهِ [وَعِيَالِهِ] أَيْ ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ. فَقَدْ صَارَ هَذَا المَعْنَى فِي القَصِيرِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطَ مَا أُعْطِيَهُ الطَّوِيلُ»[4].

4- 1- 1- 5- <u>الاشتراك اللفظي</u>: يعرّف الاشتراك اللفظي بأنه ما اتفق لفظه، واختلف معناه، أي إنه الصورة اللفظية الواحدة التي لها أكثر من معنى أو دلالة[5].

وقد عرض ابن فارس لظاهرة المشترك اللفظي في كتابه في غير موضع، مؤكدا بأنها سمة من سمات اللغة العربية. ومنها قوله: «وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: "عين الماء" و"عين المال "و"عين السحاب"»[6].

---

[1] عزيزة الشنبري، الفكر اللغوي عند ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، ص315.

[2] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص263-264.

[3] عزيزة الشنبري، الفكر اللغوي عند ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، ص315

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/328-329.

[5] عزيزة الشنبري، الفكر اللغوي عند ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه، ص321.

[6] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص97.

وقال في موضع آخر: «...ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الرّكبة وعين الميزان. ومنه في كتاب الله جل ثناؤه: (قَضَى) بمعنى: حَتَم كقوله جلّ ثناؤه، ﴿قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ﴾[الزمر/42]. وقضى بمعنى: أمرَ كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[الإسراء/23]، أي: أمر. ويكون قضى بمعنى :أعَلَم كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾ [الإسراء/4]، أي أعلمناهم. وقضى بمعنى :صَنَع، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه/7]، وكقوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ [يونس/71]، أي اعملوا ما أنتم عاملون. وقضى :فَرَغ .ويقال للميت: قَضَى أي فرغ. وهذه وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد»[1].

ويبدو أن ابن فارس قد توسع في مفهوم الاشتراك؛ إذ لم يقف عند حدود اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، بل تجاوزه إلى التركيب والأسلوب. قال في باب الاشتراك: «معنى الاشتراك :أن تكون اللفظة محتملة لمعنين أَوْ أكثر، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه/39]. فقوله: (فَلْيُلْقِهِ) مشترك بَيْنَ الخبر وبين الأمر، كَأَنَّه قال: فاقذفيه فِي اليَمّ يُلْقِهِ اليَمُّ. ومحتمل أن يكون اليمُّ أُمِر بإلقائه. ومنه قولهم: "أَرَأَيْتَ"، فهو مرّةً للاستفتاء والسؤال كقولك: "أرأيت إن صلى الإمام قاعداً كيْفَ يُصَلّي مَن خلفه؟" . ويَكون مرّةً للتنبيه ولا يقتضي مفعولاً، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[العلق/13]. ومن الباب قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر/7]، فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جلّ ثناؤه؛ لأنه انفرد بخَلْقِهِ، ومحتمل أن يكون: خَلقتُه وحيداً فريداً من ماله وولَده»[2].

4- 2- <u>معجم "مقاييس اللغة" ومنهجه في تأليف</u>: يعد معجم "مقاييس اللغة" أهم مؤلفات ابن فارس. وقد ألف معجمه معتمدا على فكرتين: "المقاييس" و"النحت"، فصرح بالأولى في مقدمته حيث قال: «إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولا تتفرع منها فروع. وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول»[3].

وهو يقصد بالمقاييس ما يعرف بـ"الاشتقاق الكبير" الذي يُرجع مفردات كلّ مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها مفرداتها.

وبيّن الثانية في أثناء المعجم، فقال: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق. وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت... والضرب الآخر الموضوع وضعا لا مجال له في طرق القياس»[4].

4- 2- 1- <u>مصادره</u>: ذكر ابن فارس في مقدمة معجمه أنه اعتمد في تأليفه على خمسة كتب رئيسة شهيرة، وهي: "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، و"غريب الحديث" و"الغريب المصنّف" لأبي عبيد، و"إصلاح المنطق" لابن السّكّيت، و"جمهرة اللغة" لابن دريد[5].

---

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص207.

[2] نفسه، ص161-162.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/1.

[4] نفسه، 1/328-329.

[5] نفسه، 1/1-4-5.

4- 2- 2- <u>منهجه في تأليف مقاييس اللغة</u>: ابتدع ابن فارس في تأليف معجمه منهجا غير مسبوق، فهو لم يرتب مواده على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يرتبها على أواخر الكلمات كما فعل الجوهري في الصحاح.

- رتب المواد ترتيبا ألفبائيا، حيث يبدأ بحرف الهمزة وينتهي بحرف الياء.

- قسم معجمه ثمانية وعشرين (28) كتابا بعدد حروف الهجاء، مطلقا على كل حرف اسم "كتاب": (كتاب الهمزة)، (كتاب الباء)، (كتاب التاء)...

- جاء ابن فارس بنظام جديد في ترتيب مواد معجمه، حيث اتبع نظاما دائريا يبدأ بالحرف المعيّن ثم ما يليه في الترتيب، فمثلا في كتاب الشين، فهو لا يبدأ بالشين ثم الهمزة، ثم الباء، ثم التاء...وإنما يبدأ بالشين ثم الصاد، ثم الطاء، ثم الظاء...ويكمل الدائرة إلى أن ينتهي بالسين.

- قسم كل كتاب (حرف) إلى أبواب:

- باب (الحرف) في الذي يقال له المضاعف.

- باب الثلاثي الذي أوله (الحرف).

- باب (الحرف) و(الحرف الذي يليه) وما يثلثهما.

- باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله (الحرف).

- باب من الرباعي آخر: من الثلاثي يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة.

- الباب الثالث من الرباعي الذي وضع وضعا.

*** مثال: <u>كتاب الحاء</u>:**

1- **باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله حاء، وتفريع مقاييسه**[1]: (حد)، (حذ)، (حر)، (حز)....، (حج).

2- **باب الحاء والدال وما يثلثهما**: (حدر)، (حدس)، (حدق)....(حدج).

- **باب الحاء والذال وما يثلثهما**: (حذر)، (حذق).

ويسير على المنوال نفسه حتى يأتي على كل المواد الثلاثية المستعملة في اللغة العربية التي تبدأ بالحاء، فيختمها بـ(حجب).

3- **باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله حاء**:

أ) **المنحوت**: مثل: (الحُرْقوف): الدابة المهزول، منحوت من (حرف): الحَرف: الضّامر من كل شيء، و(حقف): ومنه المُحْقَوْقِف: المنحني؛ ذلك أنه إذا هزل انحنى.

ب) ما ليس بمنحوت وزيد فيه حرف للمبالغة، مثل: (المُحَلْقِن) من البُسر: الذي بلغ الإرطاب ثلثيه، وزيدت فيه النون للمبالغة، والأصل: الحَلْق[2].

---

[1] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/2 وما بعدها.

[2] نفسه، 143/2

ج) **الموضوع على أكثر من ثلاثة أحرف**: وبعد أن فرغ من المنحوت والذي زيد فيه حرف لإرادة المبالغة، يتطرق إلى ما وضع في الأصل على أكثر من ثلاثة أحرف. قال: «أَمَّا الَّذِي هُوَ عِنْدَنَا مَوْضُوعٌ وَضْعًا، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قِيَاسٌ خَفِيَ عَلَيْنَا مَوْضِعُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ.

فَمِنْ ذَلِكَ (الحِنْدِيرَةُ، وَالحُنْدُورَةُ): الحَدَقَةُ، وَالحَنْدِيرَةُ أَجْوَدُ؛ كَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ.

وَالحَرْقَفَةُ :عَظْمُ الحَجَبَةِ، وَهُوَ رَأْسُ الوَرِكِ»[1].

4- 2- 3- أهم خصائص معجم "مقاييس اللغة": امتاز معجم مقاييس اللغة عن غيره من المعاجم بخصائص عدة، نذكر منها:

4- 2- 3- 1- فكرة الأصول (المقاييس): يبيّن ابن فارس إن كانت المادة أصلا أو أصلين أو أكثر، ودلالة كل أصل. مثلا: (عف): العين والفاء أصلان صحيحان: أحدهما الكفّ عن القبيح، والآخر دال على قوة الشيء[2].

وهو لا يعتمد اطّراد المقاييس في جميع مواد اللغة، بل إنه ينبّه على كثير من المواد التي لا يطرد فيها القياس. كما أنه ينص على أن الكلمات الدالة على الأصوات، وكثيرا من أسماء البلدان لا يجري على القياس. ومن ذلك مادة (تين)، قال: «التاء والياء والنون ليس أصلا، إلا التّين، وهو معروف. والتّين جبل»[3].

وقال في مادة (جهف): «الجيم والهاء والفاء ليس أصلا، وإنما من باب الإبدال. يقال: اجْتَهَفْتُ الشيء، إذا أخذته بشدّة. والأصل اجْتَحَفْتُ»[4].

4- 2- 3- 2- فكرة النحت: ذهب ابن فارس إلى أن كثيرا من الألفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف منحوتة من كلمتين، ومثال ذلك: «قولهم للرجل إذا ستر بيديه طعامه؛ كي لا يُتناول (جَرْدَبَ). من كلمتين: من جَدَب؛ لأنه يمنع طعامه، فهو كالجَدْب المانع خيرَه؛ ومن الجيم والراء والباء [أي: جرب]، كأنه جعل يديه جرابا يعي الشيء ويحويه»[5].

4- 2- 3- 3- زيادة الحروف للمبالغة: ردّ ابن فارس كثيرا من الكلمات غير الثلاثية إلى زيادة حرف فيها أو أكثر للمبالغة، «مِنْ ذَلِكَ (الفَلْحَسُ): الرَّجُلُ الحَرِيصُ. وَالكَلْبُ الفَلْحَسُ، وَهَذَا مِمَّا زِيدَتْ فِيهِ الفَاءُ، وَالأَصْلُ لَحِسَ كَأَنَّهُ مِنْ حِرْصِهِ يَلْحَسُ الأَشْيَاءَ لَحْسًا. وَالفَلْحَسُ :المَرْأَةُ الرَّسْحَاءُ، كَأَنَّ اللَّحْمَ مِنْهَا قَدْ لُحِسَ حَتَّى ذَهَبَ»[6].

4- 2- 3- 4- وضع الكلمة على أكثر من ثلاثة أحرف: أثبت ابن فارس أن هناك كثيرا من الكلمات موضوعة في أصلها على أكثر من ثلاثة أحرف؛ فهي ليست منحوتة، ولا زيد فيها حرف للمبالغة. ومن ذلك: «[البَابُ الثَّالِثُ مِنَ الرُّبَاعِيِّ الَّذِي وُضِعَ وَضْعًا]: (البُهْصُلَةُ: المَرْأَةُ القَصِيرَةُ، وَحِمَارٌ بُهْصُلٌ قَصِيرٌ . وَالْبُخْنُقُ: البُرْقُعُ القَصِيرُ، وَقَالَ الفَرَّاءُ: البُخْنُقُ خِرْقَةٌ تَلْبَسُهَا المَرْأَةُ تَقِي بِهَا الخِمَارَ الدُّهْنَ. البَلْعَثُ: السَّيِّئُ الخُلُقِ. البَهْكَثَةُ :السُّرْعَةُ . البَحْزَجُ: وَلَدُ البَقَرَةِ. وَكَذَلِكَ البَرُغَزُ. بَرْذَنَ الرَّجُلُ: ثَقُلَ. البَرَازِقُ :الجَمَاعَاتُ. البُرْزُلُ: الضَّخْمُ. نَاقَةٌ بِرْعِسٌ: غَزِيرَةٌ. بَرْشَطَ اللَّحْمَ: شَرْشَرَهُ. بَرْشَمَ الرَّجُلُ إِذَا وَجَمَ»[7].

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، 146/2

[2] نفسه، 3/4.

[3] نفسه،361/1.

[4] نفسه، 489/1.

[5] نفسه،506/1.

[6] نفسه، 514/4.

[7] نفسه، 353/1.

4- 2- 3- 5- <u>الاختصار</u>: يمتاز معجم "مقاييس اللغة" بشدّة الاختصار، وذلك يتفق مع الغرض الذي رمى إليه، فهو لم يهدف إلى صناعة معجم يحوي كل ألفاظ اللغة العربية، وإنما كان يسعى إلى وضع معجم يفلسف المشتقات اللغوية، ويربط بعضها ببعض بواسطة أصول عامة (المقاييس)، وتبيان كيف تفرعت الصيغ عنها[1].

4- 2- 3- 6- <u>الاستشهاد</u>: كثيرا ما يستشهد ابن فارس للمعاني التي يوردها بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وأشعار العرب.

فمن استشهاده بالقرآن الكريم: ما ورد في مادة (شط): «وَيُقَالُ أَشَطَّ فُلَانٌ فِي السَّوْمِ، إِذَا أَبْعَدَ وَأَتَى الشَّطَطَ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ القَدْرِ. قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص/ 22] . وَيُقَالُ أَشَطَّ القَوْمُ فِي طَلَبِ فُلَانٍ، إِذَا أَمْعَنُوا وَأَبْعَدُوا.

وَأَمَّا المَيْلُ فَالمَيْلُ فِي الحُكْمِ . وَيَجُوزُ أَن يُنْقَلَ إِلَى هَذَا البَابِ الِاحْتِجَاجُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص/ 22]. أَيْ لَا تَمِلْ. يُقَالُ [شَطَّ، وَ] أَشَطَّ، وَهُوَ الجَوْرُ وَالمَيْلُ فِي الحُكْمِ» [2].

ومن استشهاده بالحديث الشريف ما أورده في مادة (سَرَفَ). قال: «السِّينُ وَالرَّاءُ وَالفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَعَدِّي الحَدِّ وَالإِغْفَالِ أَيْضًا لِلشَّيْءِ .تَقُولُ :فِي الأَمْرِ سَرَفٌ، أَيْ مُجَاوَزَةُ القَدْرِ. وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: "الثَّالِثَةُ فِي الوُضُوءِ شَرَفٌ، وَالرَّابِعَةُ سَرَفٌ"»[3].

ومما استشهد فيه بشعر العرب: «(عَصَمَ): العَيْنُ وَالصَّادُ وَالمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِمْسَاكٍ وَمَنْعٍ وَمُلَازَمَةٍ. وَالمَعْنَى فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَعْنًى وَاحِدٌ. مِنْ ذَلِكَ العِصْمَةُ :أَنْ يَعْصِمَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَبْدَهُ مِنْ سُوءٍ يَقَعُ فِيهِ. وَاعْتَصَمَ العَبْدُ بِاللَّهِ - تَعَالَى -، إِذَا امْتَنَعَ. وَاسْتَعْصَمَ :التَجَأَ .وَتَقُولُ العَرَبُ :أَعْصَمْتُ فُلَانًا، أَيْ هَيَّأْتُ لَهُ شَيْئًا يَعْتَصِمُ بِمَا نَالَتْهُ يَدُهُ أَيْ يَلْتَجِئُ وَيَتَمَسَّكُ بِهِ. قَالَ النَّابِغَةُ:

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ المَلَّاحُ مُعْتَصِمًا *** بِالخَيْزُرَانَةِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ رَعَدِ»[4]

4- 2- 3- 7- <u>تضمن بعض المسائل الصرفية</u>: من المسائل الصرفية التي تطرق إليها ما جاء في مادة (أول): «(أول): الهَمْزَةُ وَالوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: ابْتِدَاءُ الأَمْرِ وَانْتِهَاؤُهُ. أَمَّا الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَهُوَ مُبْتَدَأُ الشَّيْءِ، وَالمُؤَنَّثَةُ الأُولَى، مِثْلُ أَفْعَلَ وَفُعْلَى، وَجَمْعُ الأُولَى أُولَيَاتٌ مِثْلُ الأُخْرَى . فَأَمَّا الأَوَائِلُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: تَأْسِيسُ بِنَاءِ "أَوَّلٍ " مِنْ هَمْزَةٍ وَوَاوٍ وَلَامٍ، وَهُوَ القَوْلُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: تَأْسِيسُهُ مِنْ وَاوَيْنِ بَعْدَهُمَا لَامٌ. وَقَدْ قَالَتِ العَرَبُ لِلْمُؤَنَّثَةِ أَوَّلَةٌ. وَجَمَعُوهَا أَوَّلَاتٌ وَأَنْشَدَ فِي صِفَةِ جَمَلٍ:

آدَمُ مَعْرُوفٌ بِأَوَّلَاتِهِ ***خَالُ أَبِيهِ لِبَنِي بَنَاتِهِ

أَيْ: خُيَلَاءُ أَبِيهِ ظَاهِرٌ فِي أَوْلَادِهِ. أَبُو زَيْدٍ: نَاقَةٌ أَوَّلَةٌ وَجَمَلٌ أَوَّلٌ: إِذَا تَقَدَّمَا الإِبِلَ. وَالقِيَاسُ فِي جَمْعِهِ أَوَاوِلُ، إِلَّا أَنَّ كُلَّ وَاوٍ وَقَعَتْ طَرَفًا أَوْ قَرِيبَةً مِنْهُ بَعْدَ أَلِفٍ سَاكِنَةٍ قُلِبَتْ هَمْزَةً .الخَلِيلُ :رَأَيْتُهُ عَامًا أَوَّلَ يَا فَتَى، لِأَنَّ أَوَّلَ عَلَى بِنَاءِ أَفْعَلَ، وَمَنْ نَوَّنَ حَمَلَهُ عَلَى النَّكِرَةِ. قَالَ أَبُو النَّجْمِ:

مَا ذَاقَ ثُفْلًا مُنْذُ عَامٍ أَوَّلِ»[5]

---

[1] حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط4، 1988، 357/2.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، 166/3.

[3] نفسه، 153/3.

[4] نفسه، 331/4.

[5] نفسه، 158/1.

فقد تطرق إلى مؤنث كلمة (أَوّل)، وجمعها، وأصل حروفها، وقلب الواو فيها همزة.

4- 2- 3- 8- <u>الإشارة إلى بعض لهجات العرب</u>: ومن ذلك ما أورده في مادة (أَيَرَ): « الهَمْزَةُ وَالياءُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الرِّيحُ. وَاخْتُلِفَ فِيهَا، قَالَ قَوْمٌ :هِيَ حَارَّةٌ ذَاتُ أُوَارٍ. فَإِنْ كَانَ كَذَا فَالياءُ فِي الأَصْلِ وَاو... وَقَالَ الآخَرُونَ :هِيَ الشَّمَالُ البَارِدَةُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ» [1].

4- 2- 3- 9- <u>الاهتمام بالتعبيرات المجازية</u>: اهتم ابن فارس بالعبارات المجازية في معجمه، فنبه عليها، مصرحا بأنها من المجاز، أو المستعار، أو المشبه، أو المحمول. ومن ذلك ما ورد في آخر مادة (دعو)، قال: «وَيُحْمَلُ عَلَى البَابِ مَجَازًا أَنْ يُقَالَ: دَعَا فُلَانًا مَكَانُ كَذَا، إِذَا قَصَدَ ذَلِكَ المَكَانَ، كَأَنَّ المَكَانَ دَعَاهُ. وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ كَلَامِهِمْ»[2].

ومنه أيضا ما قاله في مادة (رجل): «...فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: تَرَجَّلَ النَّهَارُ، إِذَا ارْتَفَعَ، فَهُوَ مِنَ البَابِ الأَوَّلِ، كَأَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ، أَيْ إِنَّهُ قَامَ عَلَى رِجْلِهِ. وَكَذَلِكَ رَجَّلْتُ الشَّعْرَ، هُوَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ قُوِّيَ. وَالمِرْجَلُ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذَا أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا نُصِبَ فَكَأَنَّهُ أُقِيمَ عَلَى رِجْلٍ»[3].

4- 2- 3- <u>منزلة مقاييس اللغة</u>: تبوأ معجم "مقاييس اللغة" منزلة رفيعة بين معاجم اللغة العربية؛ وذلك لاعتماده فكرة "المقاييس" التي ترد الألفاظ إلى أصولها الدلالية. قال محقق "مقاييس اللغة" الأستاذ عبد السلام محمد هارون: «فإن كتابنا هذا لا يختلف اثنان بعد النظر فيه، أنه فَذٌّ في بابه، وأنه مفخرة من مفاخر التأليف العربي، ولا إخال لغة في العالم ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف»[4].

ولعله من خلال هذا العرض المقتضب يكون قد تبيّن لنا مكانة "ابن فارس" في خدمة اللغة العربية، وقد ركزنا على أبرز كتابيه "الصاحبي في فقه اللغة"، و "مقاييس اللغة" اللذين كان لهما أثر كبير في الدراسات اللغوية العربية قديما وحديثا؛ لما تضمناه من أفكار ثاقبة نيرة في فهم اللغة العربية، وما سارا عليه من منهج متميّز في تأليفهما.

<u>قائمة المصادر والمراجع:</u>

*** القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1- الباخَرْزي (علي بن الحسين. ت: 467 ه)، **دمية القصر وعُصْرة أهل العصر**، تح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.

2- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. ت: 626ه)، **معجم الأدباء**، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

3- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. ت: 681 ه)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

4- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. ت: 748ه)، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، 163/1.

[2] نفسه، 281/2.

[3] نفسه، 493/2.

[4] نفسه [مقدمة المحقق]، 45/1.

5- الراجحي (عبده)، **فقه اللغة في الكتب العربية**، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت).
6- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن. ت: 911 ه)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1964.
7- الشنبري (عزيزة بنت عطية الله بن زاهر)، **الفكر اللغوي عند ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطّام بن عبد العزيز، الخرج، الرياض، السعودية، ع2، سبتمبر، 2016.
8- ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء. ت: 395 ه)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993.
9- ـــــــــــ، **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1979.
10- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. ت: 175 ه)، **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، (د ت).
11- القفطي (أبو الحسن علي بن يوسف. ت: 646 ه)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986.
12- نصار (حسين)، **المعجم العربي نشأته وتطوره**، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط4، 1988.